4198
ج ۱
۲۲۸
محمدی

موسوعة الإمامة في الفكر الشيعي

(٥)

علم الإمام

بحوث في حقيقة ومراتب علم الأئمّة المعصومين

تقريراً لأبحاث

المرجع الديني السيد كمال الحيدري دام ظله

بقلم

الشيخ علي حمود العبادي

www.ketab.ir

سرشناسه	:	حیدری، سیدکمال، ۱۳۳۸ -
عنوان و نام پدیدآور	:	موسوعه الامامه فی الفکر الشیعی/ من ابحاث کمال‌الحیدری؛ بقلم علی حمود العبادی.
مشخصات نشر	:	قم: دارالفراقد، ۱۳۹۵.
مشخصات ظاهری	:	۱۲ ج.
شابک	:	۹۷۸-۶۰۰-۷۷۹۹-۹۷-۰ دوره
وضعیت فهرست نویسی	:	فیپا
یادداشت	:	عربی.
موضوع	:	محمد(ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق.
موضوع	:	Muhammad, Prophet, d. ۶۳۲
موضوع	:	محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- تعالیم
موضوع	:	Muhammad, Prophet -- Teachings
موضوع	:	محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- دیدگاه‌های سیاسی واجتماعی
موضوع	:	Muhammad, Prophet -- Political and social views
موضوع	:	سنت نبوی
موضوع	:	Wonts of the Prophet*
شناسه افزوده	:	العبادی، علی حمود، ۱۳۱۸ -
رده بندی کنگره	:	BP۲۲/۸ ح۹ت۴ ۱۳۹۵
رده بندی دیویی	:	۹۷۳/۲۹۷
شماره کتابشناسی ملی	:	۴۲۲۹۶۷۷

موسوعة الإمامة في الفكر الشيعي (٥)

علم الإمام

تقريراً لأبحاث:	السيّد كمال الحيدري
بقلم:	الشيخ علي حمود العبادي
عدد النسخ:	٥٠٠
الناشر:	دار فراقد - قم، إيران
الطبعة الأولى	١٤٤١هـ - ٢٠١٩م
المطبعة:	ذوالفقار كوثر
ISBN:	٩٧٨-٦٠٠-٧٧٩٩-٩٦-٣
ISBN الدورة:	٩٧٨-٦٠٠-٧٧٩٩-٩٧-٠

www.ketab.ir

بسم الله الرحمن الرحیم

www.ketab.ir

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

يعدّ هذا البحث جزءًا من مجموعة أبحاث في الإمامة القرآنية، ألقيت كدروس على ثلّة من الفضلاء في حوزة قم المقدّسة، وقد حاول تلميذنا العلاّمة الحجّة الشيخ علي حمّود العبادي - دامت توفيقاته - أن يخرجها بصيغة كتاب بعد تدوينها وإبداء الملاحظات الفنّية والتوضيحية عليها؛ مما كان له الأثر المفيد في صياغتها بهذه الصورة.

وبعد ملاحظة ما قرره وجدت أنها تستوعب جميع التفاصيل التي عرضتُ لها بدقة وعمق وحسن بيان؛ ومن ثمّ فهي تعبّر عن جهد فكريّ وعلميّ جليل للكاتب الفاضل بذله من أجل توضيح هذه الأفكار.

وإني إذ أشكر له هذا الجهد المبارك أدعو الله العليّ القدير أن يجعله علماً من أعلام هذه الأمّة راجياً أن يواصل السموط الذي افتتحه بهذه الدراسة، لاسيّما مع ما تعيشه الأمّة من تساؤلات مختلفة في هذا المجال، آملاً أن تستجيب لبعض تلك المتطلّبات الفكرية والعقائدية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كمال الحيدري

٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٩ هـ

www.ketab.ir

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعدّ الإمامة من أهمّ الحقائق التي وقف عندها القرآن الكريم وأولاها عناية خاصّة، حيث بيّن أنها المقام الإلهي الذي لم ينله إبراهيم الخليل عليه السلام إلاّ بعد مقام النبوّة والخلّة؛ قال الإمام الرضا عليه السلام: «إنّ الإمامة خصّ الله عزَّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة: ١٢٤)، فقال الخليل سروراً بها: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة»[1].

وهذه الإمامة كما عرّفها القرآن وبيّنتها النصوص الروائية، هي غير الإمامة السياسيّة التي انطلقت منها المدرسة السنيّة، حيث قامت على أساس أنّ الإمام أو الخليفة هو الذي يتسنّم هرم السلطة السياسيّة في النظام الإسلامي، وهو المسؤول عن إدارة شؤون الأمّة على مختلف المستويات الدينيّة والدنيويّة.

---

(١) **الأصول من الكافي**، لثقة الإسلام أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني، دار صعب، دار التعارف للمطبوعات، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠١ هـ : ج١ ص١٩٩، كتاب الحجّة، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، الحديث: ١.

www.ketab.ir

ومن أهم خصائص الإمامة أنّ القرآن كلّما تعرّض لمعناها تعرّض معها للهداية تعرّض التفسير؛ قال تعالى في قصص إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ * وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٢ـ٧٣)، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤) فوصفها بالهداية وصف تعريف.

إلاّ أنّه قد يتساءل: ما المراد من الهداية التي تكون من اختصاصات الإمامة القرآنيّة؟ وهذا ما أجابت عنه الآيات المتقدِّمة حيث قيّدت الهداية أنّها «بأمرنا» ومعنى ذلك أنّ الهداية التي أُوكلت إلى الإمام ليست هي مطلق الهداية التي هي مجرّد إراءة الطريق الذي هو شأن مقام النبوّة والرسالة، ويقوم بها كلّ مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظة والإرشاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (إبراهيم: ٤)، وقوله في مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ (المؤمن: ٣٨).

وإنّما المراد منها نوع آخر من الهداية لا تقع إلاّ بأمر الله تعالى، وقد بيّن القرآن الكريم حقيقة هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٢ـ٨٣)، ولازم ذلك أنها هداية تكوينيّة يستحيل أن يتخلّف المراد عنها.

وببيان آخر: لا يمكن أن يكون المراد من الهداية في قوله تعالى: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ الذي وقع وصفاً لمقام الإمامة، الهداية بمعنى إراءة الطريق، وذلك لأنّ الله سبحانه جعل إبراهيم الخليل عليه السلام إماماً بعدما كان نبيّاً؛ قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة:

www.ketab.ir

١٢٤)، ومن الواضح أنّ النبوّة لا تنفكّ عن الهداية بمعنى إراءة الطريق، فلا يبقى للإمامة إلاّ الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب، وهي نوع تصرّف تكويني في النفوس بتسييرها في سيرها التكاملي في درجات صعودها إلى الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠) بنقلها من موقف معنوي ودرجة إيمانيّة إلى موقف معنوي ودرجة إيمانيّة أخرى.

على هذا يكون الإمام هو الرابط في نزول الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التي يهتدي إليها المؤمنون بأعمالهم الصالحة ويتلبّسون بها رحمةً من ربّهم. وبهذا تتميّز هذه الهداية عن الهداية التشريعيّة التي هي من شؤون النبوّة والرسالة، بل كلّ مؤمن يهدي إلى الله سبحانه ـ كما تقدّم ـ.

والحاصل فكما أنّ النبيّ رابط بين الناس وبين ربّهم في أخذ الفيوضات الظاهريّة وهي الشرائع الإلهيّة التي تنزل بالوحي على النبيّ، وتنشر منه وبتوسّطه إلى الناس، فيكون دليلاً يهدي الناس إلى الاعتقادات الحقّة والأعمال الصالحة، كذا الإمام فإنّه الرابط بين الناس وبين ربّهم في إعطاء الفيوضات الباطنيّة الملكوتيّة وأخذها، فهو دليل هادٍ للنفوس إلى مقاماتها ودرجاتها المعنوية.

قال الطباطبائي: «فالإمام هادٍ يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم، وهدايتها إيصالها إتمّاً إلى المطلوب بأمر الله، دون مجرّد إراءة الطريق»[1].

ويدلّ ذلك دلالة واضحة: «على أنّ كلّ ما يتعلّق به أمر هذه الهداية الخاصة ـ وهو القلوب والأعمال ـ فللإمام باطنه وحقيقته، ووجهه الأمري حاضر عنده

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، للعلاّمة السيّد محمّد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٩٣: ج١ ص٢٧٢.

www.ketab.ir

غير غائب عنه»[١].

وبهذا يتبيّن أنّ تعريف الإمامة بالسلطة والقيادة السياسيّة، هو تعريف لها بما هو ثمرة من ثمراتها الثابتة لتلك الشجرة الطيّبة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥).

مراتب الإمامة القرآنيّة

من الحقائق الأساسيّة التي تقوم عليها هذه الدراسة أنّها تعتقد أنّ الإمامة القرآنية لها درجات ومراتب متعدّدة ـ كما هو الحال في النبوّة العامّة التي تتفاضل مراتبها فيما بينها ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ (الإسراء: ٥٥) ـ وأعلى مراتبها إنّما هي للخاتم صلّى الله عليه وآله وأوصيائه المعصومين من أهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

ومن الواضح أنّه لا يسعنا في هذه المقدّمة بيان هذه الحقيقة القرآنيّة، إلاّ أنّ ما نريد الإشارة إليه هو أنّ هذه الإمامة التي نعتقدها لم يكشف النقاب عنها كما بيّنه القرآن الكريم والسنّة الشريفة، فكانت النتيجة عدم وجود رؤية واضحة لكثير من المسائل المرتبطة بالإمامة، خصوصاً ما يتعلّق بعلم مقام الإمامة.

ومن الجدير بالذِّكر أنّ موضوع علم الإمام ـ بحسب الاصطلاح القرآني ـ لم يبحث عنه في كتاب بنحو مستقلّ، يبيّن فيه حيثيّة هذا العلم وآلاته وأبعاده وحدوده ونحوها من المسائل المتعلّقة بذلك، ما عدا بعض الأبحاث الاستطرادية التي جاءت في ثنايا بعض البحوث التي لم تشتمل على معالجة جميع ما يرتبط بموضوع علم الإمام.

---

(١) المصدر السابق: ج١ ص٢٧٣.

www.ketab.ir

على هذا الأساس بادر سماحة السيّد كمال الحيدري بإلقاء مجموعة من الدروس ليعطي رؤية واضحة حول مسألة علم الإمام، خصوصاً تلك المرتبة الخاصّة بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

منهج البحث

يتلخّص منهج البحث في النقاط التالية:

١ ـ الاعتماد في الاستدلال على النصوص القرآنيّة.

٢ ـ الاستناد في البرهنة والاستدلال على روايات أهل البيت عليهم السلام التي تبلغ حدّ الاستفاضة أو التواتر، ممّا يُغني عن الدخول في غمرة البحث السندي.

٣ ـ الاستناد على روايات أهل السنّة، في المواضع التي تتطلّب ذلك، وتصحيحها على وفق أشدّ مبانيهم في التصحيح.

٤ ـ الاستناد والرجوع إلى بعض البحوث الفلسفيّة والكلاميّة في الموارد التي تحتاج تغطيتها في الاستدلال والبرهنة إلى ذلك.

٥ ـ الاستئناس والاستشهاد بأقوال علماء الفريقين.

أمّا الخطوات التي اتبعت لتقرير البحث فهي:

١ ـ عرض الأبحاث وفق فهرسة متسلسلة بصورة منطقيّة، إذ إنّ أغلب الأبحاث جاءت مبثوثة ضمن أبحاث أخرى، بل قد تكون المسألة الواحدة مبثوثة في مواضع مختلفة ومتباعدة، كما تقتضيه طبيعة إلقاء الدروس.

٢ ـ تدوين الأبحاث وفتحها في ضوء مراجعة عدد من المصادر المعتبرة التي أحال إليها سماحة السيّد، وإخراجها عن صورة الدرس والمحاضرة.

www.ketab.ir

٣ ـ حرصت على الإفادة من المصادر والمراجع القديمة لأصالتها.

٤ ـ تخريج أقوال علماء الفريقين من الكتب المعتبرة والموثّقة لدى كلّ طرف.

٥ ـ عنونة الأبحاث بعناوين متلائمة مع مضمونها وتسلسلها بشكل منطقي.

خطّة البحث

انطلقت خطّة البحث بتقسيمه إلى فصول عشرة:

الفصل الأوّل: تضمّن البحث في بيان حدود وسعة علم الإمام من خلال حديث الثقلين، بعد إثبات تواتره بين الفريقين، مضافاً إلى بيان المراد من أهل البيت عليهم السلام في الحديث الشريف، وكذلك بيان مراتب القرآن الكريم ثمّ الاستدلال على كيفيّة دلالة حديث الثقلين على علم أهل البيت عليهم السلام بالكتاب بجميع مراتبه.

الفصل الثاني: اضطلع بالبحث عن الأدلّة على أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته أعلم من جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

الفصل الثالث: كرّس للتعريف بحقيقة وماهية علم الإمام وأنّه ليس من سنخ العلوم الحصوليّة الحاصلة من طريق الألفاظ والمفاهيم، إنّما هو علم قرآني يحصل من طريق مشاهدة الملكوت من خلال الرؤية والمشاهدة القلبيّة.

الفصل الرابع: عني ببيان وسائل تحقّق علم الإمام، وأنّه علمٌ لدنيّ حاصل من الله تعالى بواسطة روح القدس عبر آليّات ووسائل متعدّدة من قبيل تحديث الملائكة لهم عليهم السلام والإلهام والقذف والنقر في القلوب والأسماع.

الفصل الخامس: تناول البحث في علم أهل البيت عليهم السلام

www.ketab.ir

بالغيب، مع معالجة الآيات الدالّة على انحصار علم الغيب بالله تعالى وبين الآيات الدالّة على علم غيره تعالى بالغيب، وكذلك التوفيق بين علمهم عليهم السلام بالغيب وبين سلوكهم الخارجي.

الفصل السادس: تضمّن الحديث عن حقيقة وكيفيّة ازدياد علمهم عليهم السلام، وبيان حقيقة العلم الذي يزدادون فيه، وفي هذا الفصل تمَّ البحث أيضاً حول عقيدة البداء عند الشيعة الإماميّة.

الفصل السابع: كُرِّس للبحث عن علم أهل البيت عليهم السلام بتأويل الكتاب، مع بيان حقيقة التأويل وفرقه عن التفسير.

الفصل الثامن: دارَ البحث فيه حول بيان أنّ علم أهل البيت عليهم السلام أ هو بالقوّة أم بالفعل؟ وبيّن أنّ علمهم عليهم السلام بالفعل لا بالقوّة، مضافاً إلى معالجة بعض الروايات التي يظهر منها أنّ علمهم عليهم السلام بالقوّة.

الفصل التاسع: تناول البحث فيه عن بيان حقيقة اشتمال أحاديثهم عليهم السلام على الصعب المستصعب من خلال استعراض أنواع وأقسام المعارف التي توفّر عليها أهل البيت عليهم السلام، مضافاً إلى بيان الكيفيّة إزاء الأحاديث الصعبة المستصعبة.

الفصل العاشر والأخير: عني بالبحث عن حقيقة الغلوّ وأقسامه، وبيان أنّ ما توفّر عليه أهل البيت عليهم السلام من مقامات وعلوم من قبيل علمهم بالغيب أو التفويض لهم في عالم التشريع والتكوين ونحوها من المقامات كلّها خارجة عن دائرة الغلوّ.

www.ketab.ir

إهداء

أسأله تعالى أن يتقبَّل منّي هذه البضاعة المزجاة بأفضل القبول، متضرِّعاً إليه تعالى أن يرفع أجر هذا العمل إلى الأرواح الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام وأن تكون موضع رضاهم عليهم السلام.

شكر وتقدير

ولا يفوتني أخيراً أن أتقدّم بالشكر الجزيل لسماحة السيّد جعفر الحكيم الذي بذل جهداً وافراً في تلخيص هذه الدروس وإبراز النقاط المهمّة فيها، وكذلك أشكر سماحة الشيخ خليل رزق على ما بذله من جهد مشكور في هذا المجال، والأخ عبد الرضا عبد الحسين الذي قام بالتدقيق والمراجعة اللغويّة.

والحمد لله ربّ العالمين.

علي حمود عناد العبادي

١٥ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ

www.ketab.ir